الميزان وحقيقته عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

إعداد

د. علي بن جابر بن صالح العلياني

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص البحث

هذا البحث عني بجمع المسائل العقدية المتعلقة بالميزان الأخروي من حيث تعريفه، وأدلة ثبوته من الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وكذلك بيان حقيقة الميزان يوم القيامة عند أهل السنة والجماعة، ومخالفيهم، وهل الميزان والوزن حتي أو معنوي؟، كما غني البحث كذلك بدراسة الأمور التي توزن في الميزان، ومعرفة صفات الميزان، ووقته، وهل هو واحد أو متعدد؟، وهل توزن أعمال الكفار والجن؟، ثم ذكرت الحكمة من نصب الموازين ووزن الأعمال يوم القيامة.

وقد اجتهدت في جمع أقوال العلماء في هذه المسائل، والترجيح بين الأقوال في ضوء نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، سائلا المولى ﷻ التوفيق والسداد.

❁❁❁

Abstract

This paper is concerned with collecting the doctrinal issues related to The Balance (Mizaan) of the Day of Resurrection; in terms of its definition, evidences from the Qur'an and Sunnah and the consensus of the Salaf, as well as explaining the reality of the balance on the Day of their contradictions. Then explaining is the balance and weight Sensory or moral?

Moreover the paper is concerned with studying issues that are weighed in the scale(balance) and knowing the characteristics of the scale(balance), its time, and is it one or multiple? are the deeds of disbelievers and jinn weighed? Then I mentioned the wisdom of setting the scales (balances) and the weight of deeds on Judgment Day. I have worked hard to collect the sayings of scholars on these issues in addition to weighting between the sayings in the light of Quran and Sunnah.

May Allah grant us all success.

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفيء إلى أمر الله. أما بعد:

فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، ومبانيه العظام، وهو من الأصول التي اتفق عليها جميع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة: ١٧٧].

وورد في حديث جبريل المشهور قوله ﷺ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به.

قال ابن أبي العز الحنفي: "فجعل الله ﷻ الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمَّى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة بقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء: ١٣٦]"(٢).

والمسلمون جميعاً متفقون على وجوب الإيمان باليوم الآخر، وقد نقل شيخ الإسلام رحمه الله الإجماع على ذلك، حيث قال: "فالمسلمون سنيِّهم وبدعيِّهم متفقون على وجوب الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب إن الله عنده علم الساعة (ح ٤٤٩٩) (٤/ ١٧٩٣)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة (ح ١٠٢) (١/ ٢٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٤٠١).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ٣٥٧).

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبرنا به الله ﷻ في كتابه، أو بينه لنا النبي ﷺ في سنته مما يكون يوم القيامة من أحداث وأهوال، وحساب وجزاء، ومن ذلك: الإيمان بنصب الموازين في ذلك اليوم، فتوزن بها أعمال العباد، كما قال المولى جل وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧].

ولهذا أحببت جمع المسائل المتعلقة بالميزان ودراستها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وجعلته بعنوان: (الميزان وحقيقته عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم).

أهمية الموضوع:

وتظهر أهمية الموضوع من خلال الأمور الآتية:

١. أن الإيمان بالميزان يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، الذي هو ركن من أركان الإيمان، فالإيمان بالميزان إيمانٌ باليوم الآخر.
٢. ضرورة معرفة المذهب الحق في الميزان وحقيقته، وتمييزه عن مذهب المخالفين.
٣. أن معرفة الميزان ومسائله مما يزيد في إيمان العبد، ويعينه على الاستعداد ليوم القيامة، بفعل الخيرات، واجتناب المنكرات.

الدراسات السابقة:

من الكتب التي أُفردت لذكر الميزان:

- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، (ط: بدون) ويقع في (٢٠صفحة).
- تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مجلة البحوث الإسلامية العدد ٥٦، ويقع في (١٩صفحة).

وقد تناول مؤلفا هذين الكتابين مسائل الميزان باختصار -دون تقصي- أقوال العلماء في هذه المسائل.

- وكذلك كل من كتب عن أحداث يوم القيامة؛ تعرض لذكر الميزان، سواءٌ في كتب تفسير القرآن، أو كتب شروحات الحديث، وغيرها.

ولم أقف على من أفرد الميزان، وجمع مسائله في بحث علمي أكاديمي مستقل؛ ولذلك رغبت في الكتابة عن هذا الموضوع، وجمع مسائله، والجمع أو الترجيح بين أقوال العلماء في ذلك، سائلاً المولى ﷻ التوفيق والسداد.

أهداف البحث:

يهدف البحث لإيضاح الأمور الآتية:

١. التعريف بالميزان، وبيان الأدلة الشرعية على ثبوته.
٢. بيان حقيقة الميزان عند أهل السنة والجماعة وعند المخالفين، والرد عليهم.
٣. معرفة الموزونات التي توزن في الميزان، وصفات الميزان، وعدد الموازين يوم القيامة.
٤. بيان الحكمة من نصب الموازين يوم القيامة.

منهج البحث:

استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع ما كتبه علماء السلف وغيرهم عن الميزان، وجمع الأقوال في ذلك، ودراستها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، مع بيان القول الراجح، والرد على الأقوال المخالفة لمنهج جمهور علماء السلف.

خطة البحث:

ويتكون البحث من: مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وتشتمل على: أهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهج البحث.
- **المبحث الأول:** تعريف الميزان وأدلة ثبوته.
- **المبحث الثاني:** حقيقة الميزان يوم القيامة.
- **المبحث الثالث:** صفة الميزان، وعدد الموازين.
- **المبحث الرابع:** الموزونات التي توزن في الميزان.

- **المبحث الخامس:** وزن أعمال الكفار والجن.
- **المبحث السادس:** وقت الوزن والحكمة من نصب الموازين.
- **الخاتمة**: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات.

❁❁❁

المبحث الأول

تعريف الميزان وأدلة ثبوته

المطلب الأول: تعريف الميزان لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الميزان لغة:

أصله مِوْزانٌ، على وزن مِفْعَال، جاءت الواو ساكنةً بعد كسرٍ فقلبت ياءً وجوباً فأصبح ميزان، والجمع مَوَازِين، وجائِزٌ أن يقال للميزان الواحد بأَوْزَانِه: مَوازِين؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧]، يُريدُ المِيزانَ، والوزن مصدر من قول القائل: "وزنت كذا وكذا: أزِنه وَزْنًا وزِنَةً"(١).

والوزن هو: القدْرُ والتقدير: قال ابن فارس: "الواو والزاء والنون: بناءٌ يدلُّ على تعديلٍ واستقامة، ووزَنْتُ الشّيءَ وزْناً، والزِّنَة قَدرُ وزنِ الشَّيء"(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: "الوَزْنُ: معرفة قدر الشيء، يقال: وَزَنْتُهُ وَزْناً وزِنَةً".

ويطلق الوزن على التقدير الحسي، فيُقَال: وزنَ الشيءَ إِذا قَدَّره، ووَزَن ثمرَ النَّخل إِذا خَرَصه(٣).

كما يطلق الوزن كذلك على التقدير المعنوي، ومنه قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[الكهف: ١٠٥]، والعرب تقول: ما لفلَانٍ عندي وَزْنٌ؛ أي: قَدْرٌ لِخسَّتِهِ(٤).

وقيل: الوزن هو: ثَقْلُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ مثلِه(٥).

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري (١/ ٢٩٢)، تهذيب اللغة، لمحمد الأزهري (١٣/ ١٧٦)، الإبانة في اللغة العربية، لسلمة الضُحاري (٣/ ٥٢٨)، لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٤٤٦)، تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (٣٦/ ٢٥٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٠٧).

(٣) انظر: كتاب العين، للفراهيدي (٧/ ٣٨٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١٧٥).

(٥) انظر: كتاب العين (٧/ ٣٨٦)، لسان العرب (١٣/ ٤٤٦).

كما يطلق الوزن في اللغة ويراد به: العدل، ووَازَنَه: عادَلَه وقَابَلَه، ويقال: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه، أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن[1]، وربما هذا من باب تعريف الشيء بلازمه.

وجميع هذه المعاني متقاربة المعنى فالميزان: ما تقدر به الأشياء وذلك بثقل الشيء بشيءٍ يعادله ويساويه.

وعُرّف المِيزانُ في اللغة بأنه: "ما تُقدَّر به الأشياء خفةً وثِقَلاً"[2].

وقيل إنه: اسم للآلَةِ التي تُوزَنُ بها الأشياء[3]، قال النسفي: "وهو: ما يوزن به الشيء فتعرف كميته"[4].

ثانياً: تعريف الميزان اصطلاحاً:

عُرِّف الميزان في الاصطلاح الشرعي بعدة تعريفات، ومرجع هذه التعريفات إلى اعتبارين:

الاعتبار الأول: عند من يرى أن الميزان حسِّيٌّ لا معنوي؛ وليس هو مجرد العدل فقط، وهؤلاء يُعرِّفون الميزان بأنه: ما توزن به الأعمال يوم القيامة الحسنات منها والسيئات.

قال الطبري بعد أن عرض الأقوال في حقيقة الميزان: "والصواب من القول في ذلك عندي أن ذلك، هو: الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات". وقال أيضاً: "ميزانٌ يوزن به الأعمال"[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الميزان، هو: ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل"[6].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٠٧)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٩/ ١١٠).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥/ ٦٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١٧٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ١١٠)، لسان العرب (١٣/ ٤٤٦) تاج العروس (٣٦/ ٢٥٢).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٤٠٧).

(٥) تفسير الطبري (١٢/ ٣١١ - ٣١٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

وعرَّفه الشيخ ابن عثيمين بأنه: "ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد"(١).

وعُرِّف كذلك بأنه: "ما ينصبه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد؛ ليجازيهم على أعمالهم، وهو ميزان حسي له كفتان ولسان"(٢).

وقيل: إنه ميزان "له لسان يوزن بها أعمال العباد، خيرها وشرها، وكفتان، كل كفَّةٍ بِقدر ما بين المشرق المغرب"(٣).

الاعتبار الثاني: عند من يرى أن الأعمال أعراضٌ لا يمكن وزنها، فلا توصف بالخفة والثقل، فجعل الميزان مجرد معرفة مقادير الأعمال، دون وجود ميزان حسي توزن به الأعمال.

وهو عند هؤلاء: "ما يُعرف به مقاديرُ الأعمال في الآخرة خيراً أو شراً"(٤).

والاعتبار الأول هو الذي تؤيده النصوص الشرعية، وعليه جمهور علماء الأمة، وعلى ذلك يمكن تعريف الميزان بأنه: ميزان حسيٌ له كفتان، يضعه الله ﷻ يوم القيامة؛ لوزن أعمال الثقلين، حسنها وسيئها، وهو ميزان دقيق، لا يَقْدِرُ قَدْرُه إلا الله ﷻ.

❁❁❁

المطلب الثاني

الأدلة على ثبوت الميزان

تضافرت أدلة الكتاب والسنَّة وإجماع من يعتد به من سلف الأمة على إثبات الميزان، ووزن الأعمال يوم القيامة، وعلى ثِقَلِ الموازين وخِفَّتِها، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومن ذلك:

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥/ ٦٤).

(٢) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (٢/ ٤٨٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٢٣).

(٤) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (٢/ ١٦٧٢)، التعريفات الفقهية، للبركتي (ص٢٢٢)، مصابيح الجامع، للدماميني (١٠/ ٢٧٧)، قواعد الفقه، للبركتي (ص ٥١٧).

أولاً: دلالة القرآن الكريم على ثبوت الميزان:

جاءت نصوص القرآن الكريم صريحة في أكثر من موضع بإثبات الميزان يوم القيامة، فتارة بوضع الموازين، وتارة بذكر فوز وفلاح من ثقلت موازينه، وأخرى بذكر خسارة من خفت موازينه يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء: ٤٧].

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار، من أن ذلك هو: الميزان المعروف الذي يُوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، موازين عمله الصالح ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله: «مَا وُضِعَ فِي المِيزَانِ شَيءٌ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُق»[1]، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت"[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[الأعراف: ٨-٩]، وقال ﷻ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[القارعة: ٦-٩]، وقال ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[الكهف: ١٠٥].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح٢٧٠) (ص ١٠٣)، ولفظه: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣١١-٣١٢).

فهذه الآيات دلت دلالة صريحة على إثبات الموازين يوم القيامة، وأن أعمال العباد حسنها وسيئها توزن بالموازين؛ إظهاراً لعدل الله ﷻ.

ثانياً: دلالة السنة النبوية على ثبوت الميزان:

ذكر غير واحد من العلماء أن الأحاديث التي جاءت في إثبات الميزان يوم القيامة قد بلغت حد التواتر، ومن هؤلاء العلماء السفاريني في لوامع الأنوار البهية[1] والكتاني في نظم المتناثر[2].

قال الشيخ الألباني: "والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة"[3].

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[4]، والحديث صريح في إثبات الميزان، وأنه يثقل بالأعمال الصالحة.

وجاء في الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وقال: اقْرَءُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾[الكهف: من الآية ١٠٥]»[5].

وثبت في الصحيح أن عبد الله بن مسعود "كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟»

(١) (٢/ ١٨٥).

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني (ص ٢٣١).

(٣) موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ٣٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (ح ٦٠٤٣) (٥/ ٢٣٥٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التَّهْليل والتَّسْبيحِ والدُّعاء (ح٧٠٢١) (٨/ ٧٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾[الكهف: ١٠٥] (ح٤٤٥٢) (٤/ ١٧٥٩)، وأخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار (ح٧٢٢٢) (٨/ ١٢٥).

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»(١)، وفي هذين الدليلين إشارة إلى وزن العباد يوم القيامة، وليس مجرد الأعمال.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ تَعَالَى شَيْءٍ»(٢).

قال الشيخ الألباني: "وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضاً فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة"(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أَنَا فَاعِلٌ» قال: قلت: يارسول الله فأين أطْلُبُك؟ قال: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ»، قال: قلت:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٣٩٩١) (٧/ ٩٨- ٩٩)، وابن حبان في صحيحه (ح٧٠٦٩) (١٥/ ٥٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (ح٨٤٥٢) (٩/ ٧٨)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ح٤١٦) (ص٢٣٨)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد: "صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد – وهو ابن سلمة – فمن رجال مسلم" (٧/ ٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وقال: هذا حديث حسن غريب (ح٢٦٣٩) (٤/ ٣٢١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (ح٢٢٥) (١/ ٤٦١)، وابن المبارك في الزهد باب صفة النار (ح٣٧١)(١٠٩)، قال الحاكم في المستدرك: "هذا حديث صحيح لم يُخَرَّج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم" (١/ ٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٣٥)(١/ ٢٦١).

(٣) موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ٣٦٢).

فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ»(١).

قال ابن عطية: "ولو لم يكن الميزان مرئياً محسوساً لما أحاله رسول الله ﷺ على الطلب عنده"(٢).

وعن أبى الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»(٣).

وأخرج الحاكم عن سلمان الفارسي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»(٤).

قال أبو بكر بن العربي: "بل إنه ثبت في الأحاديث الصحاح في الشفاعة: «أخرجوا من النار من في قلبه دينار، نصف دينار، شعيرة، ذرة»(٥) وذلك مما لا يعرف إلا بالوزن، فكأنه نبَّه بالسنة على ما صرح به القرآن من أمر الميزان"(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"(ح٢٤٣٣) (٤/ ١٩٩)، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح ٣٦٢٥) (٣/ ٤٤٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (٢/ ٣٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح٢٧٠) (ص ١٠٣)، قال الألباني: "وهذا إسناد صحيح، وصححه ابن حبان، وفي رواية بلفظ: «إِنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ فِي الْمِيْزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُلُقِ الْحَسَن». أخرجه أحمد، وسنده صحيح أيضاً" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (٢/ ٥٣٥).

(٤) المستدرك على الصحيحين (ح ٨٧٣٩) (٤/ ٦٢٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم، وتعقبه ابن رجب قال ابن رجب الحنبلي: "خرجه الحاكم مرفوعاً وصححه، ولكن الموقوف هو المشهور". جامع العلوم والحكم (ص٢١٧).

(٥) يشير إلى عدة أحاديث رويت بهذه الألفاظ: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّار مَنْ كَانَ فِي قَلْبه مِثْقَال ذَرَّة مِنْ إِيمَان» وَفِي لَفْظ «مِثْقَال دِينَار مِنْ إِيمَان» وَفِي لَفْظ «مِثْقَال شَعِيرَة مِنْ إِيمَان» وَفِي لَفْظ «مِثْقَال خَرْدَلَة مِنْ إِيمَان»، وقد أخرج ذلك البخاري في صحيحه (١/ ١٣) (ح٢٢) وأحمد في المسند (ح١٣٩٢٨) (٢١/ ٣٧٣).

(٦) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي (ص ٢٤٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا وأمثاله مما يُبَيِّن أنَّ الأعمال توزن بموازين تَبَيَّن بها رُجحان الحسنات على السَّيئات وبالعكس فهو ما به تَبَيَّن العدلُ، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا، وأما كيفيةُ تلك الموازين فهو بِمنزلة كيفية سائر ما أُخبرنا به من الغيب"(١).

ثالثاً: دلالة الإجماع على ثبوت الميزان:

الميزان من مسائل العقيدة المقررة عند أهل السنة والجماعة، يقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: "أصول السُّنة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء: "يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة"، ويوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به، والتصديق به، والإعراض عمن رد ذلك، وترك مجادلته"(٢).

وقد حكى الإجماع على ثبوت الميزان، ووزن الأعمال يوم القيامة غير واحد من علماء السلف، ولعل هذا الإجماع هو الذي استقر عليه مذهب أهل السنة والجماعة.

قال أبو إسحاق الزجاج: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة"(٣).

وقال أبو الحسن الأشعري: "باب ذِكر ما أجمع عليه السلف من الأصول" إلى أن قال: "وأن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه أفلح، ومن خفت موازينه خاب وخسر، وأن كفة السيئات تهوي إلى جهنم، وأن كفة الحسنات تهوي عند زيادتها إلى الجنة"(٤).

كما نقل الإجماع على ذلك أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي، فقد أخرج أبو القاسم اللالكائي وابن قدامة المقدسي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي أنه قال: "سألت أبي وأبا

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

(٢) أصول السنة، لابن أبي زَمَنِين (ص ١٤).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٥٣٨)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٥٥٩)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٣٣/ ٥٨٩).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر، للأشعري (ص ١٥٩-١٦١).

زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويميناً- فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"، فذكرا أموراً إلى أن قالا: "والميزان حَقٌّ، له كِفَّتان، توزن فيه أعمال العباد حَسَنُها وسيِّئُها"(١).

وقال السفاريني: "الإيمان بالميزان -كأخذ الصحف- ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، إلى أن قال: وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه"(٢).

وقال أيضاً: "وأما الإجماع فأجمع أكابر محققي هذه الأمة من أهل السنة بأن الإيمان بثبوت الوزن والميزان حق واجب، وفرض لازب؛ لثبوته بالسماع، وعدم استحالة ذلك عقلاً"(٣).

وقال ابن أبي زمنين المالكي: "وأهل السُّنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة، وأخبرني ابن وهب عن ابن وضَّاح عن زُهير بن عبَّاد أنه قال: كلُّ من أدركت من المشايخ: مالك، وسفيان، وفُضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجرَّاح، كانوا يقولون: الميزان حقٌّ، وقال ابن وضَّاح: سألت يحيى بن معين عنه فقال: حَقٌّ"(٤).

وقال الخازن: "والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله ﷻ يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد"(٥).

وقال ابن ناجي التنوخي: "أجمع أهل الحق على وجود ميزان حسي له كفتان ولسان، فتوزن فيه صحائف أعمال العباد؛ ليظهر الرابح والخاسر"، إلى أن قال: "وقد أجمع السلف

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (١/ ١٩٨)، إثبات صفة العلو، لابن قدامة (ص ١٨٢).

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني (٢/ ١٨٤-١٨٥)، وانظر كذلك: لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، للسفاريني (٢/ ١٧٨).

(٣) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية (٢/ ١٧٩).

(٤) أصول السنة (ص ١٦٢- ١٦٥) باختصار.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ٢٢٧).

الصالح على ذلك، وليست المسألة عقلية، إنما مأخذها الخبر فالرجوع في ذلك إليه"[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وأجمع السلف على ثبوت ذلك"[2].

ومما سبق يتضح جلياً دلالة الإجماع على ثبوت الميزان يوم القيامة، والذي عليه جمهور العلماء أن ذلك يكون بميزان حسِّي له كفتان، وهو القول الراجح، كما سيأتي.

❁❁❁

(١) شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٨- ٤٩).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥/ ٦٤ - ٦٥) باختصار.

المبحث الثاني

حقيقة الميزان يوم القيامة

اختلف الناس في حقيقة الميزان يوم القيامة على قولين:

القول الأول:

أنه ميزان حسِّيٌّ توزن به أعمال العباد يوم القيامة؛ لأن الأصل إجراء النصوص على ظاهرها؛ مالم يرد دليل على خلاف ذلك. وأما كيفية الميزان فإنه من الغيب الذي يجب الإيمان به، وعدم السؤال عنه، وهذا قول جمهور أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من بعض علماء المعتزلة كما سيأتي.

قال البغوي: "وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكِفَّتان كلُّ كِفَّة بقدر ما بين المشرق والمغرب"(١).

وقال المراغي: "والذي عليه المعول في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، فنؤمن به، ولا نُحكِّم رأينا في كيفيته، فنؤمن بأن في الآخرة وزناً للأعمال، بميزان يليق بعالم الآخرة، توزن به الأعمال والإيمان والأخلاق، ولا نبحث عن صورته وكيفيته، وإذا كان العلم الحديث كشف موازين للحَرِّ والبرد، واتجاه الرياح والأمطار، أفيعجز القادر على كل شيء عن وضع موازين للأعمال النفسية والبدنية، التي سماها الدين الحسنات والسيئات، بما تحدثه في الأنفس من الأخلاق والصفات الثابتة فيها"(٢).

القول الثاني:

أن الميزان أمرٌ معنوي غير حسِّي، والمراد به: العدل في تقدير الجزاء على الأعمال يوم القيامة، وهذا القول ينسب إلى كل من:

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ١٨٠).

(٢) تفسير المراغي (٨/ ١٠٧).

الطائفة الأولى: بعض علماء السلف:

وهم قلة من علماء السلف، ذهبوا إلى أن المقصود بالميزان إقامة العدل بين الخلائق يوم القيامة، وأما ذكر الوزن والميزان فهو ضربُ مثلٍ كما يقال: هذا الكلام في وزن هذا؛ أي: يعادله ويساويه، وإن لم يكن هناك وزن حقيقي، وهذا القول مروي عن مجاهد والضحاك وقتادة والأعمش(١).

الطائفة الثانية: جمهور المعتزلة:

ذهب جمهور المعتزلة إلى أنه ليس في الآخرة ميزانٌ حسِّي توزن به الأعمال يوم القيامة، وإنما المراد به معادلة الأعمال بالحق في ذلك اليوم، فهو وزن معنوي، وتأولوا النصوص الواردة في الميزان بأنه العدل(٢).

وقد ذكر بعض العلماء أن جميع المعتزلة تنكر الميزان، وهذا القول غير صحيح، فالقاضي عبد الجبار في الأصول الخمسة، والزمخشري في الكشاف أثبتا الميزان يوم القيامة، وأنكرا على من يؤول ذلك.

قال القاضي عبد الجبار: "أما وضع الموازين، فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧] وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[المؤمنون: ١٠٢] إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه، المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره، على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٤٥١)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٣١٩)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٦/ ٢٧٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ١٨٠)، تفسير الصنعاني (٣/ ١٩١)، التفسير البسيط، للواحدي (٩/ ٢٤)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، لمحمود النيسابوري (١/ ٣٢١)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٩٣)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (١/ ٤٠٧)، فتح الباري (١٣/ ٥٣٨)، روح المعاني، للألوسي (١٧/ ٥٤)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٧/ ٦٠)، الدر المنثور، للسيوطي (٣/ ٤١٧).

(٢) انظر: قواعد العقائد، للغزالي (ص ١٣٧)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى العمراني (٣/ ٧٢٠)، فتح الباري (١٣/ ٥٣٨)، التحرير والتنوير (٨/ ٣٠)، شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٨)، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، لعلي العدوي (١/ ١١٤).

وَٱلۡمِيزَانَ﴾[الحديد: من الآية ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز.

يبين ذلك ويوضحه: أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا"[1].

وقال الزمخشري: "توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان، تنظر إليه الخلائق، تأكيداً للحجة، وإظهاراً للنصفة، وقطعاً للمعذرة"[2].

وعلى هذا فالمعتزلة في موضوع الميزان على فريقين:

الفريق الأول: أثبتوا الميزان على الحقيقة.

الفريق الثاني: وهم الجمهور، وهؤلاء أنكروا الميزان بالمعنى الحقيقي، وذهبوا إلى أن الميزان هو العدل.

وسبب إنكارهم للميزان: زعمهم أن الأعمال أعراض لا جرم لها، إن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها، إذ إنها لا توصف بالخفة والثقل، ولأنها معلومة لله ﷻ فوزنها عبث[3].

قال ابن فورك: "وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها"[4].

الطائفة الثالثة: الجهمية:

تنكر الجهمية أمر الميزان يوم القيامة، وقولهم في الميزان لا يختلف عن قولهم في كثير من أمور اليوم الآخر، كالصراط والحوض والشفاعة والرؤية؛ فهم ينكرون ذلك كله.

---

(١) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار (ص ٧٣٥).

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ٨٥).

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٨)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد القتيبي (١٠/ ٤٨٠)، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (١/ ٩٢)، روح المعاني (١٧/ ٥٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦٥)، فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

قال ابن بطة العكبري -وهو يذكر عقائد الجهمية-: "وقالوا: إنه لا ميزان، ولا صراط، ولا حوض، ولا شفاعة"(١).

وقد نسب أبو الحسين الملطي إنكار الميزان إلى الجهم بن صفوان(٢).

الطائفة الرابعة: الخوارج:

وممن أنكر الميزان كذلك الخوارج، قال المصعبي عن الميزان: "وهو حق نطق به القرآن والسنة، غير أنه ليس على ما زعموه أيضاً من أنه بعمود وكفتين، وإنما المراد عندنا وعند معظم المعتزلة من الميزان؛ اعتبار الحسنات وتمييزها من غيرها، والعدل الذي وضعه ﷻ بين خلقه يوم لا تظلم نفس شيئاً، كما قال: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[الأعراف: من الآية ٨]، ﴿ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[الحج: من الآية ١٧] ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: من الآية ٢٥] يعني: العدل بين عباده، وكل ذلك تمثيل يجب الحمل عليه كما يقال: اجعلوا بيننا ميزاناً يعدل بيننا، والمراد به قاضياً عدلاً، ولا ضرورة تدعوا إلى الميزان المتعارف، لما أنه إنما يحتاج إليه من لا يعرف مقادير الأشياء، وأراد معرفتها، والله ﷻ غني على الإطلاق، وأيضاً أن أفعال العباد أعراض لا تقبل الخفة والثقل"(٣).

وبعد عرض الأقوال في حقيقة الميزان فالذي يظهر أن القول الأول هو القول الراجح، وهو الذي دلت عليه النصوص الصحيحة، واتفق عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

قال ابن أبي العز الحنفي: "فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادةٍ ولا نقصان، ويا خَيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البَقَّال والفَوَّال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يُقيم الله لهم يوم القيامة وزناً"(٤).

---

(١) الإبانة الكبرى، لابن بطة (٦/ ٢١٦).

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (ص ١١٠).

(٣) معالم الدين، للمصعبي (٢/ ١٩١) باختصار.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٣).

ومما يُردُّ به على أصحاب الأقوال الأخرى ما يأتي:

١. النصوص الصريحة من الكتاب والسنة في إثبات الميزان، ووزن الأعمال يوم القيامة، والأصل حمل اللفظ على ظاهره، ولا يجوز العدول عن ظاهر النصوص إلا بدليل. والقاعدة المقررة في الأصول: "أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه"(١).

قال أبو بكر بن العربي: "ونقل الطبري وغيره عن مجاهد أنه كان يميل إلى هذا القول، فإن كان هذا النقل عنه صحيحاً، إنه لمزلة قدم، وفاتحة لمن يرى قلب الألفاظ لغير ضرورة، مع إمكان حملها على ظاهرها، وليس يمتنع أن يكون الميزان، والوزن على ظاهره، وإنما يبقى النظر في كيفية وزن الأعمال، وهي أعراض، فها هنا يقف من وقف، ويمشي على هدى من مشى"(٢).

٢. أنه لو جاز حمل الميزان على معنى العدل، لجاز حمل بقية أمور الغيب كالصراط والحوض والجنة والنار على معانٍ تخالف ظاهر النص، وهذا ظاهر الفساد.

قال القشيري: "وقد أحسن الزجاج فيما قال(٣)، إذ لو حُمل الميزان على هذا، فليُحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل، وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً"(٤).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٤/ ١٥٩) باختصار.

(٢) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص ٢٤٤).

(٣) يشير إلى قول الزجاج بعد نقل قول من فسَّر الميزان بالعدل قال: "هذا سائغ من جهة اللسان، والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان".

(٤) نقلاً عن فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢١٦)، وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦٥).

وقال ابن عطية: "القول في الميزان هو من عقائد الشرع الذي لم يُعرف إلا سمعاً، وإن فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا أقوال الملاحدة[1] والزنادقة في أن الميزان والصراط والجنة والنار والحشر ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يراد بها غير الظاهر"[2].

وذكر الشوكاني أن غاية ما اعتمدوا عليه العقل، دون الرجوع إلى الشرع حيث قال: "وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها، فلم يأتوا في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية، وليس في ذلك حجة على أحد، فهذا إذا لم تقبله عقولهم، فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، حتى جاءت البدع كالليل المظلم، وقال كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم، وليتهم جاؤوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه ومن هو تابع له؛ فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم"[3].

٣. أن تفسير الميزان بالعدل سائغٌ من جهة اللغة دون الاصطلاح، ومعلوم أن باب اللغة أوسع من باب الاصطلاح، فالميزان في اللغة قد يأتي بمعنى العدل، أما في الاصطلاح فالأولى تفسيره بما ثبت في النصوص الصحيحة.

قال أبو إسحاق الزجاج: "وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ؛ إلا أن الأولى من هذا أن يُتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفَّتان، من حيث ينقل أهل الثقة، فينبغي أن يقبل ذلك"[4].

وقال القرطبي: "وهذا القول مجاز وليس بشيء -وإن كان شائعاً في اللغة- للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأن كل كفة منهما طباق السماوات

(١) هكذا وردت، ولعلها الملاحدة.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٧٥).

(٣) فتح القدير (٢/ ٢١٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٩).

والأرض"[1].

٤. أن كلمة القسط في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧] معناها العدل، وجاءت منصوبة على أنها صفة للموازين، وفي هذا دلالة على أن العدل غير الميزان.

ثم إن القسط هنا بمعنى العدل، فإذا كان القسط معناه العدل؛ فكيف يستقيم المعنى إذا قلنا إن الموازين أيضاً بمعنى العدل، ومعلوم أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وفي ذلك دلالة على أن هناك معنى زائداً عن مجرد العدل.

٥. أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد بالميزان شيء غير العدل[2].

٦. أن ما ذكروه من أن الأعمال أعراض إن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها مردودٌ بنظائر ذلك، مما يكون يوم القيامة مما ورد في النصوص الصحيحة.

فقد ثبت أن الله ﷻ يأمر بالموت يوم القيامة فيُذبح بين الجنة والنار، مع أن الموت عرض من الأعراض، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»[3].

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص ٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة مريم (ح ٤٧٣٠) (٤/ ١٧٦٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٧٣٦٠) (٨/ ١٥٢).

كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[1].

قال السفاريني: "نهجُ المعتزلة مباينٌ لنهج الرسول، فإن الله تعالى قادر على تجسيم الأعراض، والإتيان بها في أحسن صورة، وأقبح صورة، وهذا غير محالٍ في العقل، وقد ثبت به النقل؛ فوجب اعتقاده، والمصير إليه"[2].

وبهذا يتبين بطلان ما ذهب إليه المخالفون لأهل السنة والجماعة في حقيقة الميزان، وأن الحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، أنه ميزان حسِّيٌّ يتم الوزن به يوم القيامة.

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (ح١٩١٠) (٢/ ١٩٧).

(٢) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية (٢/ ١٨١).

المبحث الثالث

صفة الميزان وعدد الموازين

المطلب الأول: صفة الميزان:

من المتفق عليه عند جمهور أهل السُّنة والجماعة كما تقدم أنه ميزان حسِّيٌّ، توزن به أعمال العباد يوم القيامة، وهو ليس كموازين الدنيا، وهو ميزان دقيق، لا يزيد ولا ينقص.

ومن الصفات التي أوردها العلماء في الميزان أن له لساناً وكفتين، وقد نُقل ذلك عن ابن عباس ﷺ والحسن البصري[1].

قال البربهاري: "والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان وله لسان"[2].

وذكر ابن عطية أن ذلك قول الجمهور، حيث قال: "والجمهور على أن الميزان في يوم القيامة بعمود وكفتين، توزن به الأعمال"[3].

وقال القرطبي في التذكرة: "يؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار"[4].

وقال السفاريني: "فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية، وغيرهم"[5].

وذكر بعض العلماء أن كفتي الميزان كأطباق السماوات والأرض في عظمها، كما قال الغزالي: "وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طبقات السماوات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى تحقيقاً لتمام العدل، وتوضع صحائف الحسنات في

---

(١) أخرج ذلك ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١٦٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٤٧).

(٢) شرح السنة، للبربهاري (ص ٢٥).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٨٥).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٤٠٧).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٥).

صورة حسنة في كفة النور؛ فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله، بفضل الله، وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة؛ فيخف بها الميزان بعدل الله"[١].

وقال البغوي: "وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى يَنْصب ميزانا له لسانٌ وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب"[٢].

وقال القرطبي: "وقد جاء أن كفة الحسنات من نور، والأخرى من ظلام، والكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات. وجاء في الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار"[٣].

ومن العلماء من اقتصر في وصف الميزان على أنه ميزان له كفتان؛ دون الإشارة إلى ذكر اللسان؛ وقوفاً عند النصوص الصحيحة الثابتة في ذلك، فإنه لم يثبت في حديث صحيح أن الميزان له لسان، أما الكفتان فقد وردت في حديث البطاقة المتقدم[٤].

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على حديث البطاقة: "وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان"[٥].

ولأن ذلك من الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يمكن الجزم إلا بما ورد في نصوص الكتاب والسنة، والذي دلَّت عليه السُّنة: أن ميزان الأعمال له كِفَّتان فقط دون اللسان.

قال ابن أبي العز الحنفي: "وثبت أن الميزان له كِفَّتَان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكَيفيَّات، فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير زيادة ولا نقصان"[٦].

---

(١) قواعد العقائد (ص ٦٥- ٦٦).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ١٨٠)، وانظر كذلك: روح المعاني (١٧/ ٥٤)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٦).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧٢٤).

(٤) انظر (ص ٨) من هذا البحث.

(٥) مجموع فتاوى العلامة الألباني (ص ١٩٧).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٣).

وقال المراغي: "والذي عليه المعول في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، فنؤمن به ولا نحكّم رأينا في كيفيته، فنؤمن بأن في الآخرة وزناً للأعمال؛ بميزان يليق بعالم الآخرة، توزن به الأعمال والإيمان والأخلاق، ولا نبحث عن صورته وكيفيته"(١).

ومما قيل في صفة الوزن أن ذلك يكون بهبوط ما خفَّ، وصعود ما ثَقُلَ، قال القسطلاني: "وحكى الزركشي عن بعضهم أن رجحان الوزن في الآخرة بصعود الراجح عكس الوزن في الدنيا، وهو غريب مصادم لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴿٦﴾﴾[القارعة: ٦]"(٢).

والذي يظهر أن الصواب في ذلك أن الراجح يهبط، والخفيف يرتفع؛ كما يدل عليه حديث البطاقة وغيره.

قال القرطبي: "الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره، أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟، فلا يجدها، فيشال الميزان، فترتفع الكفة الفارغة، وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه"(٣).

وقال السفاريني: "ظواهر الآثار، وأقوال العلماء، أن كيفية الوزن في الآخرة، خفةً وثقلاً؛ مثل كيفيته في الدنيا، ما ثَقُل نزل إلى أسفل، ثم يرفع إلى عليين، وما خفَّ طاش إلى أعلى، ثم نزل إلى سجين"(٤).

ومما له صلة بذلك ما ورد من أن جبريل عليه السلام صاحب الميزان يوم القيامة، وأنه بيده يزن به أعمال بني آدم في ذلك اليوم.

فقد أخرج الطبري واللالكائي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال:" صاحب الميزان يوم القيامة جبريل، يَرُدُّ بعضهم على بعض، قال: فَيُؤْخَذُ من حسنات الظالم فترد على المظلوم، فإن

(١) تفسير المراغي (٨/ ١٠٧).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٨١)، مصابيح الجامع (١٠/ ٢٧٨).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٢٠).

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٨).

لم تكن له حسنات؛ أُخِذَ من سيئات المظلوم، فَرُدَّتْ على الظالم"[1]، ونُقل ذلك أيضاً عن الحسن البصري[2].

❁❁❁

المطلب الثاني

عدد الموازين

اختلف المثبتون للميزان في عدد الموازين يوم القيامة، ولعل منشأ الخلاف في ذلك أنه ورد ذكر الموازين في القرآن الكريم بلفظ الجمع فقط، كقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[الأعراف: ٨-٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

بينما ورد ذكر الميزان في السنة النبوية بصيغة الإفراد كقوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»[3].

والخلاف في ذلك على قولين:

القول الأول:

أنها موازين متعددة، فيكون الجمع على ظاهره، ويكون المراد: أن لكل شخص ميزاناً، أو لكل عمل ميزان، أو أن لكل أمة ميزان، ويكون الجمع على الحقيقة في تعدد الموازين يوم القيامة[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣١٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي زمنين أصول السنة (ص١٦٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (ح ٦٠٤٣) (٥/ ٢٣٥٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٨/ ٧٠)(ح٧٠٢١).

(٤) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧٣٥)، فتح الباري (١٣/ ٥٣٧)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٠٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٢١٦)، روح المعاني (١٧/ ٥٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ١٨٣)، تفسير ابن عرفة (٢/ ٢١٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٣٢١)، باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، لمحمود النيسابوري (١/ ٥٠٦)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للأمين

وقال بتعدد الموازين الرازي، حيث قال: "الأظهر إثبات موازين في يوم القيامة لا ميزان واحد، والدليل عليه قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧]، وقال في هذه الآية: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[الأعراف: من الآية ٨]، وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان آخر"(١).

وقد رجح هذا القول الشيخ الشنقيطي أخذاً بظاهر القرآن، حيث يقول:" وظاهر القرآن تعدد الموازين لكل شخص، لقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: من الآية ٨]، وقوله: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[الأعراف: من الآية ٩] فظاهر القرآن يدل على أن للعامل الواحد موازين، يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله، والقاعدة المقررة في الأصول: أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه"(٢).

ورجح ذلك أيضاً الشيخ الألباني، فعندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: من الآية ٤٧] وهل الميزان يوم القيامة واحد أم عدة موازين؟، قال: "لا شك أن لفظ القرآن لا يجوز تغييره وتبديله، فما دام أن الله ﷻ أطلق لفظة الموازين؛ فهي موازين، ولا مانع أن تكون هذه الموازين كما نعلم من أمور الغيب مختلفة، وليس ينبغي أن نتصورها ميزاناً معيناً، كيف والموازين في الدنيا الآن قد تعددت وتنوعت، فمن باب أولى أن يكون يوم القيامة هناك موازين متعددة، فما دام أن الله ﷻ جمع الموازين في مثل هذا اللفظ القرآني؛ فاعتقد أنه من التعطيل بمكان أن يفسر الموازين: بالميزان، وهذا ليس من طريقة السلف"(٣).

=الشافعي (١٨/ ١١٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٤٧٢)، التحرير والتنوير (١٧/ ٨٢)، شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٨)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٦).

(١) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (١٤/ ٢٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ١٥٩) باختصار.

(٣) موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ٣٦٤).

القول الثاني:

أنه ميزان واحد لجميع الخلائق، وقد عُبِّر عنه بلفظ الجمع للتفخيم والتعظيم، والعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، وقوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٠٥﴾[الشعراء: ١٠٥] وقوله: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٢٣﴾[الشعراء: ١٢٣]، وإنما هو رسول واحد[1].

قال البغوي: "فإن قيل: قد قال: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[الأعراف: من الآية ٨] ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد؛ قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحد، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾[المؤمنون: ٥١]"[2].

وقيل: إنما ورد بصيغة الجمع باعتبار تعدد وتنوع الأعمال الموزونة فيه، ويكون المراد بالموازين هنا جمع موزون؛ أي: الأعمال الموزونة؛ لا جمع ميزان، وحينئذٍ فلا سؤال ولا إشكال، كما قال الشيخ الشنقيطي.

وقيل: جاء بصيغة الجمع للدلالة على تعدُّد أجزاء الميزان، أو لأن لكل أحدٍ وزن يخصه[3].

وقد رجح كثيرٌ من العلماء القول الثاني، وأنه ميزان واحد، كابن حجر[4]، وابن عطية

(١) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧٣٥)، فتح الباري (١٣/ ٥٣٧)، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٥)، مدارك التنزيل (٢/ ٤٠٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٢١٦)، روح المعاني (١٧/ ٥٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ١٨٣)، تفسير ابن عرفة (٢/ ٢١٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٣٢١)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن (١/ ٥٠٦)، تفسير حدائق الروح والريحان (١٨/ ١١٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٤٧٢)، التحرير والتنوير (١٧/ ٨٢)، شرح ابن ناجي التنوخي (١/ ٤٨).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٢١٦).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٨٥).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

الأندلسي[١]، والخازن[٢]، وابن كثير[٣]، وابن عرفة المالكي[٤]، وابن حجر الهيتمي[٥]، والألوسي[٦]، والألوسي[٦]، وغيرهم[٧].

قال الحافظ ابن حجر: "والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا"[٨].

وقال ابن عطية: "وإنما جمعها؛ وهو ميزان واحد، من حيث لكل أحد وزنٌ يخصه"[٩].

وقال الخازن: "وأكثر الأقوال إنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به"[١٠].

ورغم أن أكثر العلماء على إنه ميزانٌ واحد إلا أن الذي يظهر للباحث والله أعلم أن هذا من أمور الغيب التي لا يمكن الجزم بواحد منها، ولذلك فهو محتمل للوجهين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الجمع مرادٌ من هذا اللفظ؛ إما لتعدُّد الآلات التي توزن بها، أو لتعدُّد الأوزان، وأما ما ذكروه من كثرته لكثرة المعاني التي دلَّت عليها العبارات عنه فهذا حقٌّ لكن إذا كانت العبارات دلَّت على معان كثيرة علم أن معاني العبارات لكلام الله كثيرة ليس هو معنى واحداً وهو المطلوب"[١١].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٨٥).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٥).

(٤) تفسير ابن عرفة (٢/ ٢١٣).

(٥) الفتح المبين بشرح الأربعين، لابن حجر الهيتمي (ص ٣٩٨).

(٦) روح المعاني (١٧/ ٥٤).

(٧) انظر: إرشاد الساري (١٠/ ٤٨٠)، شرح ابن ناجي التنوخي (١/ ٤٨)، حاشية العدوي (١/ ٩٢)، لوامع الأنوار البهية البهية (٢/ ١٨٦).

(٨) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

(٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٨٥).

(١٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٧)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٥).

(١١) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/ ٥٧٥).

وهذا ما أشار إليه ابن أبي العز بقوله: "يحتمل أن يكون ثمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجُمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة"[1].

❁❁❁

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٠٩).

المبحث الرابع

الموزونات التي توزن في الميزان

تعددت أقوال العلماء رحمهم الله تعالى في الموزونات التي توزن في الميزان يوم القيامة على عدة أقوال[1]:

القول الأول: أن الموزون يوم القيامة هي الأعمال ذاتها:

وهذا القول مرويٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] كما ذكر ذلك الواحدي والبغوي، قال الواحدي: "وابن عباس وعامة المفسرين على أن المراد بهذا الوزن أعمال العباد" إلى أن قال: "هذا الذي ذكرنا مذهب عامة المفسرين وأهل العلم في هذه الآية"[3].

وقال البغوي: "وقيل: تُوزن الأعمال، رُوِي ذلك عن ابن عباس، فَيُؤتى بالأعمال الحسنة على صورةٍ حَسَنَة، وبالأعمال السَّيِّئة على صورةٍ قبيحة؛ فتوضع في الميزان"[4].

وقد تقدم معنا قول عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيث قال: "سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؛ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً- فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"، فذكرا أموراً إلى أن قالا: "والميزان حَقٌّ، له كِفَّتان، توزن فيه أعمال العباد حَسَنُها وسيِّئُها"[5].

---

(١) للمزيد انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ١٨٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩)، النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٢/ ٢٤)، اللباب في علوم الكتاب، لعمر الحنبلي (٩/ ٢٣)، فتح الباري (١٣/ ٥٣٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١١)، معارج القبول، لحافظ حكمي (٢/ ٨٤٧)، البدر التمام شرح بلوغ المرام، لحسين اللاعي (١٠/ ٤٨٢).

(٢) أخرج ذلك البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٠).

(٣) التفسير البسيط (٩/ ٢٣ - ٢٤).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ١٨١).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨)، إثبات صفة العلو (ص ١٨٢).

ورجح هذا القول الحافظ ابن حجر في الفتح[1]، وأحمد المراغي[2]، ومحمد الأمين الهرري[3]، في تفسيريهما.

أدلة أصحاب هذا القول:

واستدل أصحاب هذا القول بالأحاديث الصحيحة التي نصت على وزن الأعمال في الميزان يوم القيامة.

فعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»[4]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»[5]، وعن أبى الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[6].

وقد أعتُرِضَ على هذا القول بأن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، ولا توصف بثقلٍ ولا خفة[7].

وقد أجيب على هذا الاعتراض: بأن الأعمال وإن كانت أعراضاً فإن الله يقلبها أجساماً يوم القيامة ثم توزن.

قال ابن كثير: "والذي يوضع في الميزان يوم القيامة، قيل: الأعمال، وإن كانت أعراضاً؛ إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما"[8].

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣٩).

(٢) تفسير المراغي (٨/ ١٠٧).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٩/ ٢١٨) و (٩/ ٢٢٠).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (ح٥٥٦) (١/ ١٤٠).

(٥) سبق تخريجه (ص ٧).

(٦) سبق تخريجه (ص ٨).

(٧) انظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٤٨٢).

(٨) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩).

وقال ابن أبي العز الحنفي: "فلا يُلتفت إلى ملحدٍ معاند يقول: الأعمال أعراضٌ لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام، فإن الله يقلب الأعراض أجساماً"[1].

وقال الألباني معلقاً على حديث البطاقة: "وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضاً فإنها توزن، والله على كل شيء قدير"[2].

وسواءٌ قيل إنها تُقلب أجساماً أم لا، فإن الله قادرٌ على ذلك، ولا يعجزه شيء ﷻ ولهذا نظائر كما تقدم[3].

القول الثاني: أن الموزون يوم القيامة صحائف الأعمال:

فالذي يوزن يوم القيامة الصحف التي كتب فيها أعمال العباد، لا الأعمال نفسها.

و نُقل هذا القول عن الطيبي[4]، وأبي علي الجبائي من المعتزلة[5]، ورجحه القرطبي[6]، والخازن[7]، ومرعي الحنبلي في تحقيق الميزان[8]، والسفاريني في لوامع الأنوار[9].

وذكر القرطبي أن هذا القول قول ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: "قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد، وهذا هو الصحيح، وهو الذي ورد به الخبر"[10].

وقال مرعي الكرمي: "والصواب ما صححه ابن عبد البر، والقرطبي وغيرهما: أن الموزون الصحائف"[11].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٢).

(٢) مجموع فتاوى العلامة الألباني (ص ١٩٧).

(٣) انظر (ص ١٥) من هذا البحث.

(٤) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٩)، البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٤٨٢).

(٥) انظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٤٨٢).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦٥).

(٧) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٧).

(٨) انظر: تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، لمرعي الحنبلي (ص٣٢).

(٩) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٧).

(١٠) تفسير القرطبي (٧/ ١٦٥).

(١١) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٣٢).

أدلة أصحاب هذا القول:

واستدل أصحاب هذا القول بقوله ﷺ في حديث البطاقة المتقدم: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ تَعَالَى شَيْءٌ»[1].

وعللوا هذا القول: بأن الأعمال أعراض فلا توصف بثقلٍ ولا خفة، وأيضاً لدلالة حديث البطاقة[2].

قال ابن حجر: "وقال الطيبي: قيل إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة"[3].

وقال الخازن بعد نقله لحديث البطاقة: "وفي الحديث دليل على أن صحائف الأعمال هي التي توزن، لا أن الأعمال تتجسد جواهر فتوزن، والله أعلم"[4].

القول الثالث: أن العامل نفسه يوزن يوم القيامة:

وأصحاب هذا القول ذهبوا إلى أن العامل يوزن يوم القيامة مع عمله.

قال ابن أبي العز الحنفي بعد ذكره للروايات الواردة في حديث البطاقة، قال: "وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي: أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري عن أبي

(١) سبق تخريجه (ص ٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٩)، البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٤٨٢).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٥٣٩).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٧).

هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وقال: اقرؤا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[الكهف: ١٠٥]»"[1][2].

أدلة أصحاب هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[3].

قال الشيخ الشنقيطي: "وفيه دلالة على وزن الأشخاص"[4].

ومن الأدلة أيضاً ما ثبت في الصحيح أن عبد الله بن مسعود " كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[5].

القول الرابع: أن جميع ما ذكر يوزن يوم القيامة:

فالأعمال والصحف والعامل يتم وزنها في الميزان يوم القيامة، جمعاً للنصوص الصحيحة الواردة في ذلك.

قال ابن كثير: "وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم"[6].

(١) سبق تخريجه (ص ٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٠).

(٣) سبق تخريجه (ص ٨).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٥٣).

(٥) سبق تخريجه (ص ٨).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).

وقال ابن أبي العز: "فثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات"(١).

وقال حافظ الحكمي: "والذي استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك، ولا منافاة بينها"(٢).

والذي ظهر للباحث أن القول الرابع هو أرجح الأقوال وأقواها، فالأعمال والصحف والعامل، كل ذلك يوزن يوم القيامة للأدلة الصحيحة التي ثبتت عن النبي ﷺ في ذلك، كما تقدم.

❁❁❁

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٣).

(٢) معارج القبول (٢/ ٨٤٨-٨٤٩).

المبحث الخامس

وزن أعمال الكفار والجن

المطلب الأول: وزن أعمال الكفار:

العلماء في وزن أعمال الكفار على قولين:

القول الأول: أن أعمال بني آدم كلهم – مؤمنهم وكافرهم – توزن يوم القيامة:

فقد نقل السمعاني عن التابعي عبيد بن عمير أنه قال: "يؤتى بالرجل العظيم الطويل، الأكول والشروب يوم القيامة؛ فيوزن، فلا يزن عند الله جناح بعوضة"(١)(٢).

وبوب البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن"(٣).

وعلق صاحب الكوثر الجاري على قول البخاري فقال: "هذا يدل على أن الكفار أيضاً توزن أعمالهم، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾[الأعراف: ٩] فإنها في شأن الكفار"(٤).

وقال البيهقي: "في الآية التي كتبناها(٥) دلالةٌ على أن أعمال الكفار توزن؛ لأنه قال في آية أخرى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٩]"(٦).

وذهب إلى هذا القول أيضاً ابن حزم الظاهري؛ حيث قال: "قال تعالى عن الكفار: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[الكهف: من الآية ١٠٥] وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم؛

(١) كلام عبيد بن عمير هنا إشارة إلى الحديث الصحيح المتقدم: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ».

(٢) تفسير السمعاني (٢/ ١٦٦).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٤٨).

(٤) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد الكوراني (١١/ ٣٢٦).

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧].

(٦) شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٢٥٧).

بل توزن، لكن أعمالهم شَائِلَة[1] وموازينهم خفاف، قد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون:١٠٣]"[2].

قال القرطبي: "وهذه الآيات[3] إخبارٌ لوزن أعمال الكفار؛ لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات؛ هم الكفار"[4].

وذكر ابن ناجي التنوخي أن أكثر العلماء على هذا القول، فقال: "واخْتُلِف هل توزن للكافر أعمال أم لا، والأكثر على ذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣] فهذا الوزن يعم أهل الإيمان والكفران"[5].

القول الثاني: أن أعمال الكافر لا توزن؛ إذْ ليس له حسنات توزن[6].

وقد استدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى في شأن الكفار: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[الكهف: ١٠٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعد أعمالُهم وتُحصى فَيُوقفون عليها ويُقَرَّرون بها ويُجزون بها"[7].

---

(١) الشول: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الارتفاع، ومن ذلك شَالَ الميزان: إذا ارتفعت إحدى كفَّتيه، يقال: ناقة شائلة؛ إذا خف لبنها وارتفع ضرعها، انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٣٠)، المخصص، لابن سيده (٥/ ٨٥)، الاشتقاق، لابن دريد (ص ٤٣١).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٤/ ٥٤).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[القارعة: ٨-٩]، وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[الأعراف: ٩].

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧١٥).

(٥) شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٩).

(٦) انظر: بحر العلوم (١/ ٥٢١)، شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٩)، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (١١/ ٣٢٦)، فتح القدير (٣/ ٣٧٣).

(٧) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

وقال الخازن: "فإن قلت كيف تصنع بقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[الأنبياء: من الآية٤٧] مع قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: من الآية ١٠٥]، قلت: هذه في حق الكفار؛ لأنهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر"(١).

ولعل القول الأول هو الراجح في المسألة والله أعلم لعدم التخصيص في النصوص، أما ما ورد في قوله تعالى في شأن الكفار: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ فقد وجه العلماء معنى الآية: بأنه لا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة، ولا يعبأ بهم، وليس لهم وزن ينفعهم يوم القيامة، ولا يلزم منه عدم الوزن(٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلاً، وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم؛ لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة، فتثقل به موازينهم(٣).

وكون أعمال الكافر لا قيمة لها؛ لا ينفي ذلك أنها توزن، فكما أن أعمال المؤمنين توزن لإظهار شرفهم، فيكون وزن أعمال الكفار مزيد حسرة عليهم.

قال ابن كثير: "وقد توزن أعمال السعداء وإن كانت راجحة؛ لإظهار شرفهم على رؤوس الأشهاد، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم، وأما الكفار فتوزن أعمالهم وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم، يقابل بها كفرهم؛ لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق"(٤).

وقال الألوسي: "ذكر القاضي منذر بن سعيد البلوطي أن أهل الصبر لا توزن أعمالهم، وإنما يصب لهم الأجر صباً، وظواهر أكثر الآيات والأحاديث تقتضي وزن أعمال الكفار"(٥).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٧).

(٢) انظر: شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ٤٩)، فتح القدير (٣/ ٣٧٣)، البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٤٨٤).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٢٩).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٣٦).

(٥) روح المعاني (٩/ ٥٣).

وقد ذكر ابن حجر أن أعمال بني آدم وأقوالهم كلها توزن، واستثنى من ذلك طائفتين:

الأولى: الكفار الذين لم يعملوا حسنة قط؛ فإنهم يقعون في النار من غير حساب، ولا ميزان.

والثانية: المؤمنون الذين ليس لهم سيئات، ولهم حسنات كثيرة، زائدة على محض الإيمان؛ فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب؛ كما في قصة السبعين ألفاً، ومن شاء الله أن يلحقه بهم، وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف، وكالريح، وكأجاويد الخيل، ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين؛ يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين[1].

وقد صوب مرعي الكرمي هذا الرأي في تحقيق البرهان؛ حيث قال: "والصواب: أن الميزان لا يكون في حق كل أحد، فإن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا ينصب لهم ميزان، وكذلك من يُعجَّل به إلى النار؛ لا يقام لهم وزن، وبقية الكفار يُنصب لهم الميزان.

❁❁❁

المطلب الثاني

وزن أعمال الجن

النصوص الواردة في الميزان جاءت عامة، مطلقة، ولم تخصص طائفة معينة، كما سبق في الكلام عن وزن أعمال الكفار، والجن مكلفون كالإنس، وعلى ذلك فالجن توزن أعمالهم يوم القيامة كالإنس.

وقد نُقل عن عبد الله بن سلام "أن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتي الميزان على الجنة، والأخرى على جهنم، ولو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن"[2].

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

(٢) مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٢).

قال مرعي الكرمي: "وذكر المحققون: أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وارتضاه الأئمة، ونُقل ذلك عن عبد الله بن سلام"[1].

وقال الألوسي: "ثم إنه كما اختلف في عمومه بالنسبة إلى أفراد الإنس؛ اختلف في عمومه بالنسبة إلى نوعي الإنس والجن، والحق أن مؤمني الجن كمؤمني الإنس، وكافرهم ككافرهم"[2].

ومن هذا يتبين أن أعمال الجن توزن يوم القيامة، كما توزن أعمال بين آدم.

❁❁❁

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤).

(٢) روح المعاني (٩/ ٥٣).

المبحث السادس

وقت الوزن والحكمة من نصب الموازين

المطلب الأول: وقت الوزن:

اختلف العلماء رحمهم الله في وقت الوزن يوم القيامة، وهل هو قبل الحساب أم بعده؟ وكذلك هل يكون سابقاً للورود على الحوض، أم أن ورود الحوض يسبق الميزان لحاجة الناس إليه؟

قال البيهقي: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾[الأنبياء: من الآية ٤٧]"(١).

وقد أشار القرطبي في التذكرة إلى أن هذا هو قول العلماء(٢)، ثم نقل عن أبي الحسن القابسي أن الميزان يكون بعد الحوض فقال: "واختلف في الميزان والحوض؛ أيهما قبل الآخر؟ فقيل: الميزان قبلُ، وقيل: الحوضُ. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبلُ.

قلت: والمعنى يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم"(٣).

وقد ذكر ابن حجر أن الميزان يكون قبل الحوض(٤).

والذي يظهر للباحث والله أعلم أن الحوض والميزان يكونان قبل الصراط؛ لأن الناس بعد الصراط إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويكون الحوض قبل الميزان؛ لأن الناس عند البعث، وعند دنو الشمس من الخلائق في ذلك اليوم العصيب؛ يكونون أحوج ما يكون إلى الماء، وعلى

(١) شعب الإيمان (١/ ٢٥٧).

(٢) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧١٥).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧٣٠) باختصار.

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٦٦).

هذا فيكون ترتيب هذه الأحداث يوم القيامة: الحوض ثم الحساب ثم الميزان ثم الصرط، والله أعلم.

❁❁❁

المطلب الثاني

الحكمة من نصب الموازين

ذكر العلماء رحمهم الله تعالى عدداً من الحكم التي من أجلها ينصب الله ﷻ الموازين يوم القيامة، وينبغي أن يُعلم كما ذكر أبو بكر بن العربي أن "نصب الميزان ليس لحاجة، ولا نصب الصراط لحجة، وإنما ذلك لحكمة؛ ليرى الخلقُ عياناً، ما كان أخبرهم عنه برهاناً، وللعيان تأثير لا بد منه في الدنيا والآخرة"(١).

قال ابن عطية: "ووزن الله تعالى أعمال العباد مع علمه بدقائق الأشياء وجلائلها؛ نظير كتبه أعمالهم في صحائفهم، واستنساخه ذلك، ونظير استنطاقه جوارحهم بالشهادة عليهم، إقامة للحجة"(٢).

ومن هذه الحكم(٣):

١. امتحان الله تعالى عباده بالإيمان به في الدنيا.
٢. إقامة الحُجَّة عليهم في الآخرة، فمن ثَقُلت موازينه فقد أفلح، ومن خَفَّت موازينه فقد خاب وخسر.

"فأخبر الله تعالى أنه يضع الموازين لتوزن أعمال العباد بها، فيريهم أعمالهم ممثلة في الميزان لأعين العاملين؛ ليكونوا على أنفسهم شاهدين؛ قطعاً لحججهم، وإبلاغاً في إنصافهم عن أعمالهم الحسنة، وتبكيتاً لمن قال: إن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون"(٤).

---

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص ٢٤٦).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٧٦).

(٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ٢١٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٧٦)، تفسير المنار (٨/ ٢٨٧)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٥٥٩).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٥٥٩).

٣. ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، وأنه لا يظلم أحداً مثقال حبة من خردل، وأنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر.

قال ابن أبي العز الحنفي: "ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله ﷻ لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطِّلاع لنا عليه"(١).

"وقال جمهور الأمة: إن الله ﷻ أراد أن يعرض لعباده يوم القيامة تحرير النظر وغاية العدل بأمر قد عرفوه في الدنيا وعهدته أفهامهم، فميزان القيامة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا"(٢).

٤. أنه ﷻ جعل الميزان علامة لأهل السعادة والشقاوة في الآخرة، قال القاضي عبد الجبار: "وأما فائدته فهو تعجيل مسرة المؤمن، وغم الكافر، هذا في القيامة"(٣).

وقال ابن أبي العز الحنفي: " فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادةٍ ولا نقصان، ويا خَيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البَقَّال والفَوَّال، وما أحراه بأن يكون من الذين لا يُقيم الله لهم يوم القيامة وزناً"(٤).

❁❁❁

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٣).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٧٦).

(٣) الأصول الخمسة (ص ٧٣٦).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد بن عبد الله ﷺ أما بعد؛ فمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث ما يأتي:

- أن الميزان ثابت بالقرآن الكريم، والسُّنة النبوية، وإجماع سلف الأمة.
- أنه ميزان حسِّيٌ توزن به الأعمال والصحف والعباد يوم القيامة، وليس هو مجرد العدل والقضاء؛ لأن الأصل إجراء النصوص على ظاهرها، مالم يرد دليل على خلاف ذلك.
- أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان.
- أن أكثر العلماء رجحوا أنه ميزان واحد يوم القيامة، وإنما ورد بصيغة الجمع باعتبار تعدد وتنوع الأعمال الموزونة فيه، إلا أن الذي يظهر والله أعلم أن هذا من أمور الغيب التي لا يمكن الجزم بواحد منها؛ ولذلك فهو محتمل للأمرين.
- أن أعمال الكفار والجن توزن يوم القيامة؛ لأن النصوص الواردة في الميزان جاءت عامة، مطلقة، ولم تخصص طائفة معينة.
- أن تحديد وقت الميزان لم يرد به دليل صحيح صريح، ولكن من خلال تتبع النصوص، وأقوال العلماء في ذلك ظهر للباحث أن الأحداث يوم القيامة تكون كما يأتي: الحوض ثم الحساب ثم الميزان ثم الصرط، والله أعلم. ويبقى ما ذُكر في ذلك من باب الاجتهاد، ولا يمكن الجزم بشيءٍ من ذلك؛ لأنها من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى.
- أن الله ﷻ لا ينصب الميزان يوم القيامة لحاجة، وإنما ذلك لحكمة أرادها ﷻ أكيداً للحجة، وإظهاراً للنصفة، وقطعاً للمعذرة.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين

المراجع

١. الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد حمدان العُكْبَري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢. الإبانة في اللغة العربية، لسلمة بن مسلم العَوْتبي الصُحاري، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر/ وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة الأولى/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣. إثبات صفة العلو، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر/ دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القتيبي، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، الطبعة السابعة/ ١٤٢٣هـ.

٦. الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٧. أصول السنة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية، الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ.

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط/ بدون، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٩. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني، تحقيق/ سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف-الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٠. إيجاز البيان عن معاني القرآن، لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ.

١١. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري الشهير بـ(بيان الحق)، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر/ جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٢. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر/ دار الفكر-بيروت، ط/ بدون.

١٣. البحر المديد، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٤. البدر التمام شرح بلوغ المرام، لحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، تحقق: علي بن عبد الله الزبن، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧ م.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ط/ بدون.

١٦. تاريخ علماء الأندلس، لعبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، المعروف بابن الفرضي، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، الطبعة الثانية/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٧. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، لمحمد الطاهر عاشور مؤسسة التاريخ العربي-لبنان، الطبعة الأولى/ ١٤٢٠هـ.

١٨. تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق وتعليق: مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ط (بدون).
١٩. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج - الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٢٥هـ.
٢٠. التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢١. تفسير ابن عرفة، لمحمد بن محمد ابن عرفة المالكي، تحقيق: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٨م.
٢٢. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٣. التفسير البسيط، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق: مجوعة طلاب دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة، الطبعة الأولى/ ١٤٣٠هـ.
٢٤. تفسير الصنعاني، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٠هـ.
٢٥. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٢٠هـ.
٢٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب-الرياض، ط/ بدون، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٧. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر، الطبعة الأولى/ ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
٢٨. تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٩. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، حققه وخرج أحاديثه/ يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٠. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الشافعي، إشراف ومراجعة/ د. هاشم محمد علي، دار طوق النجاة-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣١. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث-القاهرة، الطبعة الثانية/ ١٩٧٧م.

٣٢. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى/ ٢٠٠١م.

٣٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لعمر بن علي بن أحمد ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر-دمشق، الطبعة الأولى/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٣٤. الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٧هـ.

٣٥. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، دار الجيل-بيروت، دار الأفاق الجديدة-بيروت.

٣٦. جامع العلوم والحكم، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ.

٣٧. حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، لعلي بن أحمد العدوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر-بيروت، ط/ بدون، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر-بيروت، تاريخ النشر/ ١٩٩٣م.
٣٩. رسالة إلى أهل الثغر، لعلي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم-دمشق، الطبعة الأولى/ ١٩٨٨م.
٤٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ.
٤١. الزاهر في معاني كلمات الناس، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٤٢. الزهد، لعبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ بدون.
٤٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤٤. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة/ بدون.
٤٥. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٩٩٨م.
٤٦. شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، لقاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، أعتنى به: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٤٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الطبعة الثامنة/ ١٤٢٣هـ.

٤٨. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق/ أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د. عبد الكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة/ ١٤١٦هـ.

٤٩. شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري، دار ابن القيم-الدمام، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ.

٥٠. شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط- عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة العاشرة/ ١٤١٧هـ.

٥١. شرح صحيح البخاري، لعلي بن خلف بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد-الرياض، الطبعة الثانية/ ١٤٢٣هـ.

٥٢. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور: عبدالعلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى/ ١٤٢٣هـ.

٥٣. صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٤. صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٥. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٤٠٥هـ.

٥٦. الفتاوى الكبرى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا- مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٥٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه/ محب الدين الخطيب دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٨. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٤هـ.

٥٩. الفتح المبين بشرح الأربعين، لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الداغستاني، دار المنهاج- جدة، الطبعة الأولى/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

٦٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/ بدون.

٦١. قواعد العقائد، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب-لبنان، الطبعة الثانية/ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦٢. قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: الصدف ببلشرز- كراتشي، الطبعة الأولى/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٦٣. كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط/ بدون.

٦٤. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٦م.

٦٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط/ بدون.

٦٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق/ أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٦٧. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل الكوراني الشافعي، تحقيق الشيخ: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٩هـ.

٦٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ.

٦٩. اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٠. لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م، دار صادر-بيروت.

٧١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها-دمشق، الطبعة الثانية/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧٢. لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع-الرياض، الطبعة الأولى/ ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٧٣. مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧٤. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب/ فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ١٤١٣هـ.

٧٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الناشر/ دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ.

٧٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٢هـ.

٧٧. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ٢٠٠٠م.

٧٨. المخصص لابن سيده، لعلي بن إسماعيل الأندلسي، المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧٩. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله بن محمد الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٨٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى/ ١٤٢١هـ.

٨١. مصابيح الجامع، لمحمد بن أبي بكر بن عمر المعروف بالدماميني، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، دار النوادر-سوريا، الطبعة الأولى/ ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٨٢. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم-الدمام، الطبعة الأولى/ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٨٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٢٠هـ.

٨٤. معالم الدين، لعبد العزيز بن إبراهيم المصعبي، وزارة التراث القومي والثقافة-عمان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٨٥. معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب-بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٦. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم-الموصل، الطبعة الثانية/ ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٨٧. مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨٨. مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-بيروت، الطبعة الثانية/ ١٣٩٩هـ.

٨٩. موسوعة الألباني في العقيدة، لمحمد ناصر الدين الألباني، صنعه: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة-صنعاء، الطبعة الأولى/ ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٩٠. النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: د. عمار طالبي، مكتبة دار التراث-مصر، ط/ بدون.

٩١. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر بن إدريس الشهير بالكتاني، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية-مصر، الطبعة الثانية.

٩٢. النهاية في الفتن والملاحم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل-بيروت، ط/ بدون، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

❁❁❁